مختارات مما لم يُنشر

من شعر البحتري

- ٤ -

قال البحتري [١] يمدح الفتح بن خاقان [٢] ، واقترح عليه هذا الوزن لأنه قيل له إنه ينتحل أشعار العرب :

أَصُدودٌ غلا بِهـا أم دلالُ يومَ زُمَّتْ [٣] بِرامةَ [٤] الأَجْمالُ

---

(١) القصيدة من الخفيف ، عدد أبياتها ٣٧ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة : ٣٣٤ ظ — ٣٣٥ ظ ؛ ومما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن عبد القاهر الجرجاني أثبت أحد أبياتها ـ ـ البيت ١٩ ـ فيما اختاره من ديوان البحتري (المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام بتحقيق السيد عبد العزيز الميمني : الطرائف الأدبية مصر ١٩٣٧ : ص ٢٧٠) .

(٢) الفتح بن خاقان صاحب المتوكل وأمين سره وقد قتل معه عام ٢٤٧ هـ ، وهو أديب شاعر من كبار مثقفي القرن الثالث ؛ كان يملك خزانة كتب حافلة ، وله ألف البحتري (كتاب الحماسة) على نهج حماسة أبي تمام ، ومدحه بما يقرب من ثلاثين قصيدة (راجع ترجمته في الفهرست ، مصر ١٣٤٨ هـ ص ١٦٩ — ١٧٠ ؛ ومعجم الأدباء لياقوت ، المأمون ١٩٣٦ م ج ١٦/ ١٧٤ — ١٨٦ ؛ وفوات الوفيات ، مصر ١٩٥١ ج ٣/٢٤٦ — ٢٤٧ ؛ وانظر الفصل الرابع من كتاب أخبار البحتري : ٨٣ — ٩٩) .

(٣) زَمَّ البعيرَ : خَطَمه بالزمام .

(٤) موضع بالبادية ، قيل بالعقيق ، وقيل وراء القريتين في طريق البصرة إلى مكة ، وقيل إنه من ديار بني عامر . (راجع المحيط وما على الهامش من تعليقات) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أَعْرَضَتْ عِطْفَةَ القَضِيبِ وَحَادَتْ[1] مِن قَرِيبٍ كَمَا يَحِيدُ الغَزَالُ
عَهِدَتْنِي وَلِلشَّبِيبَةِ سِرْبًا لَمْ جَدِيدٌ فَأَنْهَجَ[2] السِّرْبَالُ
وَرَأَتْنِي تَدَارَكَ الحِلْمُ مِنِّي وَتَنَاهَى عَن عَذْلِيَ العُذَّالُ
إِنْ يَعُدْ هَجْرُهَا جَدِيدًا فَقَدْ كَا نَ جَدِيدًا مِنْهَا وَمِنَّا الوِصَالُ
إِذْ حَوَاشِي الزَّمَانِ خُضْرٌ رِقَاقٌ وَقَنَاةُ الأَيَّامِ فِيهَا اعْتِدَالُ
وَلَهَا بِالكَثِيبِ مِن جَنْبِ حُزْوَى[3] أَنَسٌ[4] قَاطِنٌ وَحَيٌّ حِلَالُ
ذَكَّرَتْنِي الرُّسُومُ وَالأَطْلَالُ صَبَوَاتٍ ذِكْرِي لَهُنَّ ضَلَالُ
تَلَفُ الحِلْمِ أَنْ يُطَاعَ التَّصَابِي وَرَدَى اللَّهْوِ أَنْ يَشِيبَ القَذَالُ[5]
أَبْرَحَ[6] العَيْشُ فَالمَشِيبُ قَذًى فِي أَعْيُنِ البِيضِ[7] وَالشَّبَابُ جَمَالُ
نَوَّلِينَا وَأَيْنَ مِنْكِ النَّوَالُ وَعِدِينَا وَوَعْدُ مِثْلِكِ آلُ[8]

(١) حاد عن الشيء يحيد : صدّ عنه وعدل .
(٢) أنهج الثوب : إذا أخذ في البِلى ولم يتشقق .
(٣) حُزوى : موضع بنجد فى ديار تميم ، وقيل هو جبلٌ من جبال الدهناء (معجم البلدان ، بيروت : ٢/ ٢٥٥) .
(٤) الأَنَسُ : الناسُ والحيّ المقيمون ، والأُنس ضدُّ الوحشة .
(٥) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .
(٦) أَبْرَحَ : آذى وآلمَ وعذّب .
(٧) كناية عن النساء .
(٨) سرابٌ خادع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أنا راضٍ بأن تجـودي بقولٍ كاذبٍ أو يُطيفَ منكِ خيالُ
أيها المبتغي مُساجَلةَ الفتـ ـح تحاولتَ نَيْلَ ما لا يُنالُ
أين تلك الأخلاقُ منكَ إذا رُمْـ ـتَ مداها وأين تلك الخِلالُ
لن تُجارى البحارُ حينَ يَجيشُ الـ ـمَدُّ فيها ولن تُوازى الجبالُ
يَبْعُدُ البائنُ (١) المُبَرِّزُ فَوْتاً وَتَدانى (٢) الضُّرُوبُ والأَشكالُ
لم تُسَلِّمْ لهُ المقادةَ حتى عرفتْ فضلَهُ عليها الرِّجالُ
رفعتْ مجدَها (٣) عليه تَنُوخٌ فله فوق غيرِهِ إِظْلالُ
قائلٌ فاعلٌ وليس يكونُ القـ ـقولُ مجداً حتى يكونَ الفَعال (٤)
وصحيحُ السَّماحِ بينَ أُناسٍ في سَجاياهمُ علينا اعتلالُ
ثابتٌ في المَكَرِّ إن زاح (٥) للفر سانِ عن جانب الصريع مجالُ
ملكٌ يستقِلُّ في رأيه المُلْـ ـكُ ويَحيا في فضله الإفضالُ
وإذا ما حللتَ رَبْعَ أبي الفضـ ـلِ نَشَمَّ السَّماحُ والإِبلال
مُتَعَلٍّ على الخطوبِ إذ (٦) العا ثرُ كابٍ في صرفها ما يُقال

(١) الغالب في الفضل والمزية .
(٢) بحذف التاء : تتدانى = تتقارب .
(٣) في الأصل : مجده .
(٤) اختار الجرجاني هذا البيت في مختاره .
(٥) تباعد ، وفي الأصل : راح للفرسان عن جانب الصريع محال .
(٦) في الأصل : إذا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومقيمٌ صَفَا (١) الأمور وفيها حَيِدٌ (٢) عن جهاتها وانفتالُ
مُتَحَرٍّ (٣) عَلَى الخلافة ما ينـ ـقُصُ في حظها ولا يغتالُ
شاهرٌ دونَ حَقِّها عَزَمات تَتَحامى مكروهَها الأبطالُ
وسيوفاً إيماضُها أوجالٌ للأعادي ووقعُها آجالُ
مرهفات لها ، إذا أظلم النَّقْـ ـعُ عليها ، توقُّدٌ واشتعالُ
أبداً يَستجدُّ منها حديثا نِ : دمٌ من عَدُوِّه وَصِقالُ
كلّما جئتَهُ تعرَّفتَ مَجْداً مُستفاداً للطرف فيه مُخالُ (٤)
حيث لا تَدْفَعُ الحقوقَ المعاذيـ ـرُ ولا يَسْبِقُ العَطاءَ السؤالُ
أعوزتْ من سواكَ عارفةُ الجو دِ وخابتْ في غيرِكَ الآمالُ
أنا من بَلَّهُ نداك وأعلت منه آلاؤك العِراضُ الطِوالُ
وتولَّتْهُ أنعمٌ منكَ يُحمَلْـ ـنَ خفافاً وهُنَّ وِقْرٌ (٥) ثِقالُ
مالئاتٌ بذكرك الأرضَ شكراً وثناءً وسيرُها أرسالُ (٦)
طالماتٌ تلك النجادَ ففي كُلِّ مَقامٍ لمنَّ فيكَ مَقالُ

* * *

(١) الصفا : الميل .
(٢) جمع حَيْد : اعوجاج والتواء .
(٣) تحرّى الأمر : قصده وتوخاه واجتهد في طلبه وفي الأصل : منحن .
(٤) في الأصل : محال ، ومخال من أخال فيه : تفرّس وتوسّم .
(٥) الوِقر : الحمل الثقيل .
(٦) أفواج بعد أفواج .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ملاحظات ونظرات

١ — للبحتري في الفتح بن خاقان شعر كثير ، أكثره في ديوانه المطبوع ، والذي لا يزال مخطوطاً منه قليل لا يزيد على ثلاث قصائد ، منها هذه القصيدة التي تنشر لأول مرة .

٢ — أول اتصال للبحتري بالفتح كان في سنة ٢٣٣ هـ — كما يذكر الصولي في أخبار البحتري ص ٨٣ — وقد لقي الشاعر من ممدوحه تشجيعاً أثار عليه نقمة حسّاده الكثيرين ، فراحوا يكيدون له عنده ، ويتهمونه بانتحال أشعار العرب ، وقد كانت هذه القصيدة امتحاناً لشاعرية البحتري ، ذلك أن الفتح اقترح عليه وزنها ، وقد دلّل الشاعر بنجاحه فيها على أصالة موهبته وامتلاكه لناصية فنه ، وحُقَّ له أن يقول في قصيدة أخرى يمدح بها الفتح ، ولا تزال مخطوطة أيضاً :

إذا كساني الفتح أثواب الغنى ... فكسوتي إياه مدحٌ منتخبْ
قصائد تطرب من تهدى له ... ولذةُ النفس من العيش الطرب
لم أستعرْ حليتها يوماً ولا ... أغرتُ حين قُلتُها على الكتب

(مخطوطة باريس : الورقة ٣٩ و — ظ) .

٣ — ولهذا نرجح أن يكون تاريخ نظم القصيدة في الفترة الأولى من اتصال البحتري بالفتح ، عام ٢٣٣ هـ ، وقبل أن يتبقن الفتح من أصالة موهبة البحتري وغنى طاقته الشعرية .

٤ — تقع القصيدة في قسمين متميزين : نسيب ومديح .

أما النسيب فيشغل الأبيات (١ — ١٢) وهو غزل تقليدي يتحدث في رشاقة وبراعة عن صد المحبوبة ودلالها وهجرها وإعراضها عن الشاعر منذ ولّى شبابه ، وأصبحت الصبوات من بعد ذلك ذكريات حلوة تهيجها الأطلال والرسوم ، وأمسى الشاعر يقنع بالوعد الكاذب والخيال الزائر .

وأما المديح فيشغل بقية الأبيات (١٣ — ٣٧) وقد أغناه البحتري بكثرة الصور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتنوعها ، وفيها يمجّد أخلاق الفتح وسجاياه ، فهو فرد لا نظير له ، عرف الجميع فضله فأسلموا له المقادة ، وهو قوّال فعّال ، سمح شجاع صائب الرأي ، كريم مضياف ، لا تنال منه الخطوب ، مصلح يقوّم اعوجاج الأمور ، ويحمي أمجاد الخلافة بعزماته وجهاده وحروبه ، وهو سخيّ يسبق عطاؤه سؤاله ، والشاعر غارق في فيض من آلائه وعطاياه ، شاكر حامد ، لا يفتر عن الحمد والثناء .

٥ — الانتقال من النسيب إلى المديح انتقال مفاجئ ، وتلك عادة من البحتري ألفناها منه ، وقد أهمل في المديح تمجيد شرف نسب ممدوحه ، ووفّى العنصرين الآخرين (الكرم والشجاعة) تصويراً وتلويناً ، وأبرز دور الفتح في دعم الخلافة وإسهامه في تدبير أمورها ، ولم يكن الشاعر في كل ذلك مغالياً ، فالفتح بن خاقان كان دون ريب من أخطر شخصيات عهد المتوكل وأشدها وعياً وأحكمها سياسة وتدبيراً .

٦ — تمتاز القصيدة بالصنعة الكثيرة المتأنقة ، ففيها فيضٌ من التشابيه والاستعارات والمحسنات البديعية ، وذلك تأثير أبي تمام في تلميذه البحتري لا يزال غضاً شديد الوضوح ، ولمّا تمض على وفاة (الأستاذ) — كما كان البحتري يسمي أبا تمام — سنةٌ وبعض السنة ، وسيتحلل الشاعر كلّما امتد به العمر من طوابع مدرسة أبي تمام ومياسمها حتى يصبح الطبع غلاّباً على الصنعة في فنه .

٧ — تظهرنا القصيدة على مقدار الجهد الفني الذي بذله البحتري في نظمها ، ففي النسيب وحده ثلاثة أبيات مصرّعة (الأول والثامن والحادي عشر) وأكثر القوافي فيه مرشحة ، والصور تزدحم في القصيدة كلها في إحكام متين ، وإيجاز خاطف ، وعرض حي مثير ، وليس هذا عجيباً فهذه القصيدة التي يختبر بها الفتح شاعرية مدّاحه هي أجود ما تستطيع عبقرية البحتري أن تمخّض عنه آنذاك ، وما كان للشاعر إلا أن يفجّر كل طاقته وإمكاناته التي يمتلكها إلى ذلك اليوم ، وهو يثبت للتحدي ، ويخوض معركته الحاسمة مع حسّاده ، مناضلاً في سبيل مستقبله ومجده الأدبي في بغداد .

٨ — القصيدة إذاً من جيّد شعر البحتري ومختاره ، وكفى البحتريّ فخراً أن يقول مثل هذا الشعر وهو شابٌّ لمّا يبلغ الثلاثين !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ٥ -

قال البحتري [١] يرثي أم المتوكل [٢] :

غَروبُ [٣] دمعٍ من الأجفانِ تَنْهَمِلُ ... وَحُرْقَةٌ بِغَلِيلِ الحُزْنِ تَشْتَعِلُ

وليس يُطفِيءُ نارَ الحزنِ إذ وَقَدَتْ ... على الجوانحِ إلا الواكفُ [٤] الخضِلُ [٥]

إن لَجَّ حُزْنٌ فلا بِدْعٌ ولا عَجَبٌ ... وُفُلَّ صبرٌ فلا لومٌ ولا عَذَلُ

---

(١) القصيدة من البسيط ، عدد أبياتها عشرون ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس ، الورقة : ٣٤٩ ظ — ٣٥٠ و ؛ ومما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن المعري يذكر الشطر الأول من المطلع والبيت ١٦ منها في عبث الوليد (مطبعة الترقي بدمشق ١٩٣٦ : ص ١٦٩ — ١٧٠) .

(٢) أم المتوكل خوارزمية اسمها شجاع ، كانت أم ولد ، وكانت تدعى السيدة ، ويذكر ابن تغري بردي أنها « كانت صالحة كثيرة الصدقات والمعروف » وقد حزن المتوكل لوفاتها حزناً شديداً ، وكانت وفاتها لست خلون من ربيع الآخر سنة ٢٤٧ هـ ، وقتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر (راجع النجوم الزاهرة : مصر ج ٢ / ٣٢٣ ومروج الذهب للمسعودي مصر البهية ١٣٤٦ هـ ج ٢ / ٣٦٨ ، ٣٩١ وتاريخ الطبري في حوادث سنة ٢٤٧ هـ) .

(٣) جمع غَرْب : الدلو العظيمة ، والدمع وسيله أو انهلاله من العين أو الفيضة منه .

(٤) الدمع السائل .

(٥) الندي المبتل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عَذْري لقد نَدَحَ الخطبُ الذي طَرَقَتْ ... بِهِ الليالي وجَلَّ الحادثُ الجَلَلُ

لِلّهِ أيُّ يد بانَ الحِمامُ بها ... منّا وأيَّةُ نَفْسٍ غالَها الأَجَلُ

سيّدة الناسِ (١) حقّاً بعدَ سيِّدِهم ... ومن لها المأثُراتُ السُّبَّقُ الأُوَلُ

جرى لها قَدَرٌ حَتْمٌ فحلَّ بها ... مكروهُهُ وقضاءٌ مُوشكٌ عَجِلُ

فكُلُّ عينٍ لها من عَبْرَةٍ دِرَرٌ (٢) ... وكُلُّ قلبٍ له من حسرةٍ شُغُلُ

عمَّ البكاءُ لها من (٣) المُصاب بها ... كما يَعُمُّ سحابُ الدِّيمةِ الهَطِلُ

فالشرقُ والغربُ مغمورانِ من أسفٍ ... باقٍ لفقدانها والسهلُ والجبلُ

مَنُوبةُ اللهِ مِمّا فارقتْ عِوَضٌ ... وجنّةُ الخُلْدِ مِمّا خلّفتْ بَدَلُ

قُل للإمامِ الذي آلاؤه جُمَلٌ ... وبِشْرُهُ أملٌ وسُخْطُهُ وَجَلُ

لكَ البقاءُ على الأيامِ يُقْتَبَلُ (٤) ... والعُمْرُ يمتدُّ بالنُّعْمى ويتّصِلُ

والناسُ كُلُّهمُ في كلِّ حادثةٍ ... فداءُ نَعْلِكَ أنْ يغتالكَ الزَّلَلُ

إذا بقيتَ لِدينِ اللهِ تَكْلَؤُهُ ... فكلُّ رُزْءٍ صغيرُ القَدْرِ مُحْتَمَلُ

---

(١) في النجوم الزاهرة أنّ أمّ المتوكل كانت تُدعى السيدة ، كما قدمنا ، وإلى هذا يشير البحتري هنا .

(٢) في أساس البلاغة : سحابة مِدرار ولها دِرّةٌ ودِرَرٌ .

(٣) في الأصل : والمصاب ، ولا يستقيم به الوزن .

(٤) يُستأنف ، اقتبل البقاء : استأنفه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لئن رُزِئْتَ التي ما شابها امرأة (١) لقد أُتيتَ الذي لم يُوْتَهُ (٢) رَجُلُ
صبراً ومعرفةً بالله صادقةً والصبر أجملُ ثوبٍ حين يُبْتَذَلُ (٣)
عَزَّيتَ نفسَكَ (٤) عنها بالنبيّ وما في الخُلدِ بعد النبيّ المصطفى أَمَلُ
وكيف نرجو خُلوداً لم يُخَصَّ به مِن قبلنا أنبياءُ اللهِ والرُّسُلُ
عَمَّرَكَ اللهُ في النَّعماء مُبتهجاً بها وأعطاكَ منها فوق ما تَسَلُ

* * *

(١) كذا في المخطوطة الباريسية ، وفي عبث الوليد (مَرَة) وتعليق للمعري يقول فيه : (قد جمع أبو عبادة في قوله « مَرَة » بين شيئين ، تخفيف الهمزة التي في قولك « مرأة » ، وحذف الهمزة الأولى التي هي همزة الوصل ، وهذا جائز على قلّته ، ومنه قول بعض اللصوص:

ولستُ أرى مَرْءاً تطول حياتُه فتُبقي له الأيامُ خالاً ولا عمّا)

ومنه أيضاً قول دعبل الخزاعي معاصر البحتري وصديقه :

فاحفظ عشيرتك الأدنين إنّ لهم حقاً يفرّق بين الزوج والمَرَةِ

(الكامل للمبرد ، طبعة المبارك وشاكر ١٣٥٥ هـ : ج ١/ ٣٥٤) .

(٢) في الأصل : بأنه ، وأثبتنا ما جاء في عبث الوليد ، وقد علّق المعري على قول البحتري (أُتيتَ) بمعنى (أُوتيت) فهي كلمة لم تُستعمل لذاك ، وخيرٌ للبحتري أن يقول (فقد حُييتَ) .

(٣) ابتذل الثوب : لبسه .

(٤) يشير البحتري هنا إلى قول المتوكل عند وفاة أمه ، فقد ذكروا أنه قال في موتها بيتاً من الشعر ، وهو :

تذكّرتُ لمّا فرّق الدهرُ بيننا فعزّيتُ نفسي بالنبي محمد

وقد أجازه له بعض من حضر فقال :

فقلت لها إن المنايا سبيلُنا فمن لم يمت في يومه مات في غدِ

(انظر النجوم الزاهرة : ٢/ ٣٢٣) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ملاحظات ونظرات

١ — لم يَرِد لأم المتوكل في شعر البحتري ذكرٌ في غير هذه المرثية التي بكاها بها في حياة ولدها ، فأدّى بذلك واجب الشاعر الرسمي للخليفة ، وإن لم يكن للحدث المحزن صلة بقلبه ووجدانه ، على أن أم المتوكل كانت — فيما يحكيه المؤرخون عنها — سيدةً جليلة صالحة ، تبسط يدها في الإحسان إلى الفقراء من مالها ، وكانت أحزان المتوكل لوفاتها عميقةً ، أنطقته بالشعر الحزين بكاءً عليها ، ولهذا كان المأمول من شاعر الخليفة أن يُعمِّق إحساسه بآلام سيّده وأن يتمثلها وأن يجد السبيل الى قولٍ مغموس بدم القلب ، لولا أن البحتري من طبيعة نفسية مرحة ، تنفر من الكآبة ، وتستعصي على المشاركة الوجدانية الصادقة في مآسي الآخرين .

٢ — تاريخ نظم القصيدة سهل التحديد ، فقد توفيت أم المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ، ولحق المتوكل بها بعد ستة أشهر من وفاتها ، وفي خلال هذه الفترة دون ريب نظم البحتري هذه المرثية .

٣ — إذا استثنينا من مراثي البحتري قصيدتين هما رائيته في المتوكل وميميته في أبناء حُميد الطوسي (الديوان : الجوائب : ١/٣٨ ، ٢/٥٥) لم نجد للبحتري إبداعاً في الرثاء ، ذلك أن الشاعر كان يبكي في هاتين المرثيتين نفسه ويندب أفول مجده بمصرع المتوكل والقادة الطائيين من آل حميد ، فجاء رثاؤه هنا صادق اللوعة ، يفيض وفاءً ويتدفق إخلاصاً وجدّةً وأصالة ؛ أما مراثيه الأخرى فهي قصائد يابسة لا تخرج على النهج التقليدي للمرثية ، والبحتري يستهلها غالباً بتعظيم الرزء ، وذم الدهر الخوّان ، والتوجع من صروفه قبل أن يصل إلى الفقيد فيعدد مناقبه ويصوّر الفراغ الكبير الذي خلّفه بوفاته ويصف الحزن الطاغي لفقده ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى أهل الفقيد فيعزيهم ويمدحهم ، وبذلك يصبح الرثاء جسراً إلى المديح ، ويتخلص الشاعر من كآبة جو الموت ، باحثاً بعينيه النهمتين أبداً إلى المال عن ممدوح جديد سخيٍّ ، من أهل الراحل ، يحل محلّه ، ويجزي الحمد بالثمن الربيح .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ — ورثاء البحتري لأم المتوكل يجمع هذه الخطوط العامة التقليدية ، ذلك أننا نلاحظ في القصيدة الأقسام الثلاثة التالية :

أ — تصوير الحزن وتعظيم المصاب : ويشغل الأبيات (١ — ٤) فالدمع سكوب ، والحزن مشتعل الحرقة ، والصبر مفلول عند هذا الحادث الجلل .

ب — تمجيد الفقيدة : ويشغل الأبيات (٥ — ١١) فقد كانت ذات يد كريمة ونفس طيبة ، وكانت سيدة الناس بمآثرها ، فأرداها الموت ، فبكتها العيون والقلوب ، وعمّ الحزن الناس في الشرق والغرب ، والسهل والجبل ، ودعوا أن يثيبها الله الجنة .

ج — تعزية الخليفة ومدحه : ويشغل الأبيات الباقية (١٢ — ٣٠) والبحتري يصف هنا آلاء الخليفة وبشره وهيبته ، ويدعو له بطول العمر ، ذلك أن بقاءه بقاء للدين ، وكل خطب هيّن بعده ، والمتوكل قد أوتي الصبر والإيمان فعزّى نفسه عن أمه بالنبي ، وكيف يرجو لها خلوداً لم ينله قبلها الأنبياء ! ويسأل الشاعر الله أخيراً أن يمد في حياة الخليفة ويزيده نعمة وبهجة ، وأن يعطيه فوق ما يسأل .

٥ — في القسمين الأول والثاني وصف للحزن بلهجة تقريرية جافة ومبالغات يائسة تجعل الحداد شاملاً للشرق والغرب ، والسهل والجبل ! ولم يوفق البحتري إلى أن يخفي بهذا الطلاء فقر انفعاله وقصور عاطفته وتفور وجدانه من الانغماس في الجو الحزين القاتم الذي يرسم خطوطه ؛ أما القسم الأخير فيكاد يكون مديحاً خالصاً للخليفة ، مقطوع الصلة بالإطار الأسود الذي تقدمه ، ذلك أننا نرى الشاعر فيه وقد برقت أساريره ، فذكر البشر والنعماء والبهجة ، وكأنه نسي ما كان يسكبه من (غروب الدمع) وما كان يُشمله من (غليل الحزن) .

٦ — هذه القصيدة لا تقع دون الحسن من شعر البحتري وإن لم تلحق بالجيد المختار منه ، ولو لم تكن مرثية ، والرثاء الحق نبعة تفور من أعماق القلب ، لنجت من أكثر المساوئ التي أشرنا إليها .

(يتبع) الدكتور صالح الأشتر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net